Adıyaman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
İslami İlimler Araştırmaları Dergisi
1 (2017/1), 253-297

الْطَّرِيْقُ إِلَى الْحُكْمِ الْرَّاشِدِ
رُؤْيَةٌ شَرْعِيَّةٌ

Saleh Ali Nasser ALKHADRİ*

ملخص

يمثِّل الحكم الراشد أبلغ صورة وأروعها في تسيير شؤون الحياة، من حيث الاعتبار الدِّيني وغيره من المجالات.

وللوصول إلى الحكم الراشد لا بد من معرفة أن الإسلام هو أقصر الطرق الموصلة إليه، فهو الذي رسم أسبابه، وحدد الطرق الموصلة إليه.

وما وصلت إليه البشرية من التطور المختلف لا بد أن يتوافق مع روح الإسلام، لأن حياة الناس لا تصلح إلا بالدين الذي اختاره الله لهم.

الكلمات المفتحية: الطريق, الحكم, الراشد, الشرع, الرؤية.

DOĞRU KARARA GİDEN YOL
ŞER'Î BİR BAKIŞ

Öz

Doğru karar ister dini işlerde olsun isterse de başkarında olsun günlük işlerde önemli bir yere sahiptir.

Doğru karara varma konusunda bilinmesi gereken en önemli şey ise İslamiyet'in ona ulaşmada en kısa yol olduğudur. Zira doğru karara nasıl varılacağının temellerini beyan edip onu diğer kararlardan ayıran İslamiyet'tir.

Beşeriyetin ilerlemesi vesilesiyle ulaştıkları sonuçların ise İslam ruhuyla uyum içerisinde olması gerekir. Zira insanoğlunun hayatı ancak Allah'ın onun için seçtiği din ile olur.

Anahtar Kelimeler: Yol, Hüküm, Doğru, Şeriat, Görüş.

* د. عضو هيئة التدريس بجامعة أديامان التركية

Adıyaman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
İslami İlimler Araştırmaları Dergisi
1 (2017/1), 253-297

THE WAY TO THE RIGHT JUDGEMENT A THEOLOGICAL POINT OF VIEW

Abstract

The right judgement is very important in daily life both in religious issues and in the others.

The most important thing that has to be known in reaching the right judgement is that the Islam is the shortest way to reach the right judgement. Because it is Islam that has explained how to reach the right judgement and avoid from the wrong ones.

The things that the humanity has acquired via developments have to be suitable to the Islamic thought. Because the human being's life can not continue without the religion that Allah has selected for him.

Keywords: The Path, Judgement, Right, Shara, View.

الْمُقَدِّمَةُ:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[1]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[2]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[3]، أمَّا بعد:

فإنَّ الحكم الرَّاشد غاية تسعى إليها النُّفوس الطَّموحة، والشُّعوب الرَّاقية، والأحرار من البشريَّة، وتهواه الأمم التي فهمت الإنسانيَّة بمعناها الصَّحيح الكامل، وجوهرها الصَّافي الشَّامل، الذي لا لبس فيه، ولا محسوبيَّة، ولا عنصريَّة، ولا جاهليَّة.

حكم راشد لا مكان فيه لأصحاب النُّفوس الدنيَّة، والعقول الفاسدة، والأهواء الزَّائفة، موافق لكمال الرَّشد، وهو كمال العقول، وصفاء النُّفوس، وصلاح الأعمال، وسمُّو الأخلاق، وصالح الأقوال، لا يقبل الزَّيغ والانحراف والتَّبعية العمياء، بل هو على بصيرة وبيِّنة من الأمر، قواعده راسية، وأُسسه ثابته ثبات الحقِّ الذي لا يزول[4].

سُمِّي حكمًا راشدًا، ونال شرف ذلك الوصف، كونه تميَّز عمَّا سواه ممَّا شَابَه الهوى – أي خالطه–، والأغراض السَّلبية المتعدِّدة في أنواعها وآثارها، والتي تعود على الحكم بالسَّلب، وقد غلب ذلك على كلِّ حكم، سوى الحكم الرَّاشد.

---

1) الأحزاب: 70،71.

2) آل عمران:102.

3) النساء:1.

4) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1 ، 1405، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، 504/4، بتصرف.

لذلك قال الله تعالى في بيان حال فرعون نافيا أن يكون أمره متّصفاً بالرُّشد: (فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ **وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ**)[5]، لأنَّ حكمه جانب الصَّواب، ولم يتَّصف بصفات الحكم الرَّاشد الفريد، قال ابن كثير : أي ليس فيه رشد ولا هدى[6]. فالرشد هو خير وصلاح[7]، وذلك لم يتوافر في حكم فرعون[8].

وحقيقة الأمر الرَّاشد كما ورد في وصف القرآن الكريم بأنَّه يهدي إلى الرُّشد، وقد ذكر الله ذلك في الحكاية عن حال الذين أسلموا من الجن، كما قال سبحانه: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، **يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** فَآمَنَّا بِهِ، وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا)[9]، وكذلك فتية الكهف عندما طلبوا من ربِّهم أن يهيئَ لهم من أمرهم رشداً[10]، فقال الله تعالى حكاية عنهم: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا **رَشَدًا**)[11].

ولقد وصفت الخلافة بعد رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالخلافة الرَّاشدة، لأنَّها كانت على هدي النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –، حاملة كلَّ صفات الكمال النِّسبيِّ، الذي كَمُل به كلُّ حكم رشيد جرى على هذه الدُّنيا.

وأصل ذلك وصف رسول الله – عليه الصَّلاة والسَّلام– الخلفاء من بعده –رضي الله عنهم– بالرَّاشدين، كما ورد في حديث العرباض بن سارية ، عن رسول الله – صلى الله

---

5) هود: 97.

6) تفسير القرآن العظيم، المؤلف : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر بيروت، 1401هـ، 602/2.

7) –نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إدارة الطباعة المنيرية، تعليق محمد منير الدمشقي، 131/8.

8) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، ت 710هـ ، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق زكريا عميرات، 75/4.

9) الجن: 1،2.

10) التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد–، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ، الدار التونسية للنشر – تونس 1984 م، 2522/1.

11) الكهف: 10.

عليه وسلم- أنه قال:" أوصيكم بتقوى الله ، والسَّمع والطَّاعة، وإن أُمِّر عليكم عبد حبشي، فإنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي، **وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين** المهديين، عضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة"[12].

والخلفاء الذين التزموا الحكم الرَّاشد بعد النَّبيِّ –صلَّى الله عليه وسلَّم- بإجماع الأمَّة المحمَّديَّة، هم أبو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ علي، -رضي الله عنهم أجمعين- فهم بحقٍّ كما أُطلق عليهم -الخلفاء الرَّاشدون-، والتأريخ يشهد بصلاحهم وأهليتهم المتمثِّلة في اتِّصافهم بالرُّشد، وكذلك صلاح حكمهم، واستحقاقه أن يوصف بالرُّشد.

وممَّا ورد في التَّوصيف لحكم الرَّاشدين، ما قاله الإمام علي –رضي الله عنه- عندما انتقدَ بعضُ النَّاس عمرَ بن الخطاب –رضي الله عنه-، بحضرته، فقال: "ويحكم إنَّ عمر رضي الله عنه كان **رشيد الأمر**"[13].

فتبيَّن في الكلام السَّابق أنَّ الرشد في الحكم الرَّاشد، هو غاية ما يمكن أن يصل إليه الأمر من الحسن والكمال والجودة الشاملة، سواء الرُّشد في الحُكم بحسن تسييره وروعة إجراءاته، أو الرُّشد لدى الشَّخص المتمثل في تصرُّفه وتعامله مع غيره، أو الرُّشد في الكلام بنوعه ووزنه وحسنه، وكلُّ أمرٍ فيما يحمل من معان الحُسن الدَّاخلي، والأثر الإيجابي الخارجي[14].

إنَّ هذا البحث يُراد له أن يكون رسالة تذكير بأهميَّة العودة إلى ما يجب أن يكون في حياة النَّاس من الاعتزاز بما أكرمنا الله به من أسباب الرَّشاد في الدُّنيا والآخرة،

12) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1411 – 1990، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا. 288/1.

13) سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1414 – 1994، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، 20375/10.

14) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، دار الشعب القاهرة، 66/9، بتصرف.

كما أنَّه يرسم طريقاً للعودة إلى ذلك الأمل المنشود، بصورة مختصرة ومبسَّطة، ترغيباً في تسهيل فهم وإدراك حقائق الحياة في ظلِّ الحكم الرَّاشد، لعلَّ ذلك يكون دافعاً لتحفيز الهمم في محاولة العودة إليها، من خلال تضافر الجهود المختلفة وتلاقح الأفكار الرَّاشدة النيِّرة، التي تكون وقوداً للوصول إلى المطلوب، والعود أحمد، ومن الله يكون العون وبه التَّوفيق.

على أمل أن يكون نواة لإعداد كتاب يحمل نفس العنوان، ولكن بشيء من التوسع والبسط، وقد اجتهدت أن أكتب هنا ما تيسر وظهر لي من نظرات شرعية حول الحكم الراشد بقصد إيجاد صورة تقرب مفهومه وتظهر حقيقته، وأدرجت ما يناسب من كلام أهل العلم ضمن فقرات البحث، استئناساً بأقوالهم وعلومهم وآرائهم، كون كلامهم يمثل منارات يستنيرُ بها من قَصَدَ علما نافعا، ثم جعلت كل نقل من كلامهم بين علامتي تنصيص مع ذِكْر المصدر، وما سوى ذلك فهو من كلامي، وأسأل الله لمن كتب ومن قرأ القبول والعون والتوفيق.

خِطَّةُ البَحْث

المبحث الأول: الحياة في ظل الحكم الرَّاشد.

المطلب الأول: تعريف الحكم الرَّاشد:

أولا : تعريف الحكم الراشد لغة:

الحكم لغة: القضاء وجمعه أحكام ، حكم : قضى ، والحاكم منفِّذ الحكم[15].

الرَّاشد لغة: الرَّاشد والرَّشيد والرُّشَد: حُسن التَّقدير، والرَّشيد المرشد، والرَّشيد من بَلغ سنَّ الرُّشد، وهو إصابة وجه الأمر، والاهتداء إليه، وقد رُشِد فهو رشيد وراشد، والرَّشاد ضد الغي [16].

15) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، مادة: حكم، 140/12.

ثانيا: تعريف الحكم الراشد اصطلاحا:

من خلال النَّظر في تعريفات المؤسَّسات الدُّولية، التي لها علاقة بالشُّؤون العامَّة للبلدان والدُّول عموماً، نجد أنَّ تعريف الحكم الرَّاشد بمجموع ما قالوه، يدلُّ على صورة واضحة في الدَّلالة إلى حد ما على إيجابيَّة الحكم، لكنَّها تبقى تصوُّرات تنظيريَّة، لأنَّ واقع تلك المؤسَّسات لا يتوافق مع المبادئ والأسس التي تقوم عليها الأمم، قياماً صالحاً صحيحاً كما هو في أصول الحكم الإسلامي، فيحصل بذلك القصور الجلي والواسع، بينما النَّظرة الشَّرعيَّة تبقي هي الأسمى والأجدى، لأنَّها إرادة الله التي أرادها لخلقه، والتي تتوافق مع الطَّبيعة البشريَّة، ولها ضوابطها وأسسها التي عليها قامت، وبها تدوم، وهو ما يميزها عن غيرها، "ولما كانت إرادة الله تتعلق بالمراد على وفق علمه تعالى كانت مشيئته أي إرادته جارية على وفق حكمته التي هي من كيفيات علم الله تعالى فهي من تعلقات العلم الإلهي بإبراز الحوادث على ما ينبغي".[17].

وفيما يأتي بعض التَّعريفات الواردة في تعريف الحكم الرَّاشد، لدى تلك الموسَّسات العامَّة، ثمَّ التَّعريف الذي يُعبِّر عن المنظور الإسلامي:

جاء في تقرير التَّنمية الإنسانيَّة العربيَّة:

أنَّ الحكم الرَّاشد موضوعٌ إنسانيٌ و"هو الحكم الذي يعزِّز ويدعم ويصون رفاه الإنسان، ويقوم على توسيع قدرات البشر وخياراتهم وفرصهم وحرّياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسِّياسية، ويسعى إلى تمثيل كافَّة فئات الشَّعب تمثيلاً كاملاً، وتكون مسؤولة أمامه، لضمان مصالح جميع أفراد الشَّعب"[18].

16) لسان العرب،157/3، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، 267/1.

17) التحرير والتنوير: 376/1.

18) موقع الشَّامل، موسوعة البحوث، على شبكة الأنترنت، http://bohotti.blogspot.com.tr/2015/04/blog-post_556.html

وفي برنامج الأمم المتحدة:

الحكم الرَّاشد هو: "ممارسة السُّلطة الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة والإداريَّة لإدارة شؤون الدَّولة على كافَّة المستويات ، ويشمل الآليَّات والعمليَّات والمؤسَّسات التي من خلالها يعبّر المواطنون والمجموعات عن مصالحهم، ويمارسون حقوقهم القانونيَّة، ويوفون بالتزاماتهم ويقبلون الوساطة لحلِّ خلافاتهم"[19].

ولدى البنك الدّولي:

"الحكم الرَّاشد هو: التَّقاليد والمؤسَّسات التي من خلالها تتمُّ ممارسة السُّلطة في الدُّول من أجل الصالح العام ، بما يشمل عملية اختيار القائمين على السَّلطة ورصدهم واستبدالهم وقدرة الحكومات على إدارة الموارد، وتنفيذ السِّياسات السِّلمية بفاعلية وإحترام كل من المواطنين والدَّولة للمؤسَّسات التي تحكم التفاعلات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة فيما بينها"[20].

على ما سبق من التَّعريفات، في اللُّغة وكذلك في اصطلاح المباشرين للأمور المتعلِّقة بالحكم عموماً، ودون تخصيص بالرَّاشد، وما ورد من كلام عن الحكم الموصوف بالرَّشيد خصوصاً، يمكن القول بأنَّ الحكم الرَّاشد:

حسن الإدارة والتَّدبير لشؤون الحياة، مع توفُّر مواصفات تميُّز ذلك الحكم ومنها مواصفات الحاكم التي تدل على الرُّشد، واستيعاب تلك البيئة لكلِّ المنضوين تحتها، وبمختلف أحوالهم، ومع وضوح الأسس والقواعد والضَّوابط الدَّائمة والعامَّة والشَّاملة والمستمرَّة، التي تنظِّم تلك الإدارة، وبما يدفع للاستقرار ولا يدع لخِلافِه باباً.

19) المصدر السَّابق

20) المصدر السَّابق.

وبهذا التَّعريف يمكن التَّفريق بين الحكم مجرداً، والحكم مع ملازمته للرُّشد، –من حيث اعتبار ما تفعله الدولة أو ما يجب أن تفعله الدولة–، وذلك بأن يقال (كخلاصة للكلام السابق في التعريف):

الحكم:

ما تفعله الدَّولة، بأي أسلوب وطريقة كانت، دون مراعاة للأمثل والأفضل والأولى والأحسن في تصريفها للأمور، على اختلاف قربها وبعدها من معاني الرُّشد.

والحكم الرَّاشد:

ما يجب أن تفعله الدَّولة، من الاستيعاب لكلِّ ما يجب من المواصفات المثاليَّة التي تصير واقعاً ملموساً، وهو الواجب الذي ينبغي، والأمل المنشود، الذي طال الكلام عليه، وطال الانتظار له، مع إمكانية وقوعه، إذا وجدت الإرادة ممَّن هم لذلك أهل، وهو بأمر الله يسير، وربنا —سبحانه– على ذلك قدير، وليس عليه بعزيز.

المطلب الثَّاني: أفضليَّة السَّير نحو الحكم الرَّشيد:

من خلال استقراء النصوص الشرعية وأحوال العباد في كل زمان نجد أنَّ الطَّريق إلى ذلك الحكم الرَّشيد الرَّاشد، يُعدُّ سيراً نحو الحياة الآمنة المستقرة، والعيشة الرضيَّة الطَّيِّبة، التي يملأها العدل والأنصاف، ويُغيَّب عنها الظُّلم والباطل بشتَّى أنواعه، وتعمُّ فيها الفضيلة، وتُنكَر فيها الرَّذيلة، فتكون حياة لا تهتزُّ لريح الباطل أياً كانت، أصلها ثابت وفرعها في السماء، كما هو حال الكلمة الطَّيِّبة، قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)[21]، حياة يتمنَّاها المؤمن ويرجو بلوغها ويشتاق إليها، ويأباها الكافر والمنافق ولا يهواها، لأنَّها لا توافق هواه الأعمى، ولا تتناسب مع حاله المتخبِّط، الذي يتناقض مع الرُّشد الذي به يكون الاستقرار، وصلاح الحال، قال

21) إبراهيم:24.

الله تعالى: (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ، أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[22]، فيكون حال من لم يوفق للرُّشد في الأمر كحال من قال الله عنه: (كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)[23].

فحقيقة السَّير صوب الحكم الرَّاشد هي سير نحو الحياة الرَّاشدة بمجموعها وشمولها، سير نحو إسعاد البشريَّة السعادة الحقيقة لا المتوهمة بإذن الله تعالى، سير نحو ربَّانية المجتمع، وخيريَّة الأمَّة، سير نحو إحياء كل معالم الخير، ونبذ كل معالم الشَّر.

هي بحقٍّ **سهمٌ لإصابة هدفٍ اسمُهُ الحياة الطَّيِّبة**، التي وعد الله بها عباده المؤمنين في كتابه الكريم بقوله سبحانه: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[24]، قال ابن كثير: "**والحياة الطيبة تشمل وجوه الرَّاحة من أي جهة كانت**"[25]، **وقال ابن القيم: "الحياة الطيبة التي هي أكمل أنواع الحياة في هذا العالم**"[26]، ولتحقيقها لا بد من بذل الأسباب الموصلة، وتوفر الإرادة المتقدة، وقال كذلك: " فإن الحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية والمحبة الصادقة والإرادة الخالصة فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة وأخس الناس حياة أخسهم همة وأضعفهم محبة وطلبا وحياة البهائم خير من حياته كما قيل"[27].

وما وعد الله به عباده المؤمنين من إكرامه لهم بالأمن المطلق، **الأمن بعد الخوف، الأمن السِّياسي، والأمن الاقتصادي، والأمن الاجتماعي، والأمن العسكري، والأمن الغذائي، والأمن الحياتي، وكلُّ أمن من أمرٍ يُخافُ منه المرء**، هو داخل فيما هو موعود

22) الملك: 22.

23) البقرة: 275.

24) النحل:97.

25) تفسير ابن كثير: 772/2.

26) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، 1393 – 1973، تحقيق : محمد حامد الفقي، 411/2.

27) مدارج السالكين:263/3.

بـه مـن الله لعبـاده المـؤمنين، قـال الله تعـالى: (وَعَـدَ اللَّـهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا مِـنْكُمْ وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)[28]، قال النسفي في تفسيره: "وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورثهم الأرض، ويجعلهم فيها خلفاء ،كما فعل ببنى إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يميز الدين المرتضى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتعضيده، وأن يؤمن سربهم، ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه"[29]، وقال الشوكاني عند ذكر هذه الآية: "أنه سبحانه يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الأعداء أمنا، ويذهب عنهم أسباب الخوف الذي كانوا فيه بحيث لا يخشون إلا الله سبحانه ولا يرجون غيره"[30].

المطلب الثَّالث: سُعداء بلا استثناء في ظل الحكم الرَّاشد:

إنَّها حياة يعيش خلالها كلُّ من انضمَّ إليها، سعيداً، آمناً، مستقراً، هادئ البال، مرتاح الضَّمير، كيفما كان في حاله، بأيِّ فكر يحمل، أو معتقد يَدِيْنُ، لأنَّه صار فرداً ضمن مجتمع منضبط سليم، وأصبح لبنة مثَّلت جزءاً من جدار منيع، له نصيبٌ ممَّا نال ذلك المجتمع من الخير، وحاله كحال كل أحد فيه، من حيث الشُّعور بصدق الكلمة، وصلاح الحال، وارتياح الضَّمير.

يؤكِّد روعة ذلك مَواطن كثيرةٌ في كتاب الله، وسنة النَّبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –، تبيُّن سماحة الإسلام في حقِّ تعايش غير المسلمين المسالمين مع المسلمين، واعتبارهم جزءاً من البشر الذين يؤنس إليهم ويبرُّون، من ذلك ما ورد في قول الله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ

28) النور:55.

29) تفسير النسفي:154/3.

30) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى: 1250هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة :الأولى – 1414 هـ، 69/4.

الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[31].

قال ابن جرير –رحمه الله– عند ذكر الآية السَّابقة: "عُنى بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدِّين من جميع أصناف الملل والأديان، أن تبرُّوهم وتَصِلُوهم وتُقسطوا إليهم؛ لأنَّ بِرَّ المؤمنِ من أهل الحرب ممَّن بينه قرابةُ نسب، أو ممَّن لا قرابة بينه وبينه، ولا نسب غيرُ مُحَرَّم ولا منهيٌّ عنه، إذا لم يكن فى ذلك دلالةٌ له، أو لأهل الحرب، على عورة لأهل الإسلام، أو تقويةٌ لهم بكُراع أو سلاح، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) يقول: إنَّ الله يحب المنصفين الذين ينصفون النَّاس، ويعطونهم الحقَّ والعدل من أنفسهم، فيبَرُّون من بَرَّهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم"[32]، وقال الشوكاني: "ومعنى الآية أن الله سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال، وعلى أن لا يظاهروا الكفار عليهم، ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل"[33].

ما سبق من الكلام يعتبر تأكيداً لما ينبغي أن يكون عليه بني الإنسان، من التَّعامل الإيجابيِّ فيما بينهم، في كلِّ زمان ومكان، واعتبار الجامع الذي يجمعهم، والرَّابط الذي يربطهم، مبدأ الأخوَّة الإنسانيَّة، إضافة إلى الرَّغبة المزروعة بداخل كلِّ نفس، من العيش بهناء، ودون عناء أو إرهاق، وذلك ما تميل إليه النُّفوس السَّويَّة والسَّليمة قاطبة، من الطُّموح في نيل الحياة الصَّادقة، التي لا زيف فيها، ولا ترضى لمن يحياها بالدُّون.

والحياة المشار إليها هنا، هي أسمى ما يكون من الحياة العامَّة، لأنَّها نتاج حكم أساسه قويٌّ، وركنه متينٌ، توافق الفِطَر الإنسانيَّة، وتحمل الرَّغبة التي لا زالت في النُّفوس إليها

31) الممتحنة:8.

32) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر بيروت، 1405هـ، 23.

33) فتح القدير: 299/5.

جامحة، بشوق لاحدَّ له ولا نهاية، والنُّفوس بطبيعتها جُبلت على حبِّ كلِّ ما هو حسن ونافع[34].

الْمَبْحَثُ الثَّانِي:

مثاليَّة الحكم الرَّاشد:

عند الكلام عن أيِّ أمرٍ تفرَّد بوصفٍ، أو اختصَّ بحالٍ، ينبغي التَّركيز على ما تفرد به، وما تميز به عن غيره.

فالحكم الرَّاشد يُعدُّ من الأمور العظيمة، وحصوله غنيمة لبني الإنسان، وخير أكرمهم الله به، ومنحة منحهم إيَّاها الإله الكريم، تستحق أن ترعى لتدوم، وأن تصان كي لا تتشوه، وكما قيل: فإن المعاصي تزيل النعم، وقبل ذلك قال ربنا سبحانه تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)[35].

ولبيان مثالية الحكم الرَّاشد، وأنه يحمل قدراً عالياً من المعاني السَّامية، ويتَّصف بصفات الكمال النِّسبي للحكم، مقارنة بغيره، يمكن ذكر ما يدلِّلُ على ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأوَّل: سمُّو الحكم الرَّاشد وتَمَيِّزُهُ عن غيره.

يمثِّل الحكم الرَّاشد أبلغ وأروع صورة في تسيير شؤون الحياة، من حيث الاعتبار الدِّيني والسِّياسي والفكري والاقتصادي والاجتماعي، وغيرها من المجالات التي لا تنفك عن تلك الحياة.

ذلك أنَّ الحكم الرَّاشد تميَّز عن غيره من الأنظمة والقوانين بمزايا غيَّرت وجه الحياة، وصار النَّاس يشعرون خلال فترة الحكم الرَّاشد – في ظروف تحقَّقت فيها مجريات ذلك

34) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 60/7، بتصرف.

35) إبراهيم:7.

الحكم، أو في ظروف افتراضية ومتوقَّعة، أو أحوال مرجو فيها تحقُّق الحكم الرَّاشد، يشعر الناس فيها بغاية من الرَّاحة والسَّعادة والطُّمأنينة، على المستوى العام والخاص[36]، لأن كل أمر يسير على الوجه الصحيح، والطريقة المثلى، وكما هو مأمول بتحقق الأمل المنشود في جريان الحكم الرَّاشد بكلِّ مفرداته وحيثياته، في كل وجه من وجوه الحياة، سواء منها الدِّينية، أو الاجتماعية، أو السِّياسية، أو الاقتصاديَّة، أو التِّجارية، أو التَّربويَّة والتَّعليميَّة، أو الفكرية والثَّقافيَّة، فللحكم الراشد أثر على كل جزئيات حياة الناس لذلك ورد أن الفضيل بن عياض قال: "ابن آدم وعاء فمن جعل فيه شيء كان، ولو كانت لي دعوة مستجابة جعلتها في الأمام فإن صلاحه صلاح العباد والبلاد وفساده فساد العباد والبلاد"[37].

كما أنَّ الحكم الرَّاشد مبني على أسس ثابته، وقواعد متينة، وضوابط تضبط بها كلُّ تفصيلات ومتغيِّرات الحياة، فصار بذلك النموذج الذي به تتسارع النَّجاحات، ويتحقق المأمول والمنشود والمرغوب، لكلِّ فرد من أفراد المجتمع، بإنجازات تتعلَّق بكلِّ فرد على حده، أو تتمثَّل في إنجازاتٍ عامةٍ تصبُّ في مصلحة كلِّ فرد من أفراد المجتمع.

ومن خلال ذلك الحكم الرَّاشد تسير عجلة الحياة سيراً صحيحاً وسريعاً متِّزناً ومنضبطاً، يلازمها النَّجاحات المختلفة في مستوياتها.

بل يرى النَّاس حينئذ أنَّ كلَّ مُؤمَّل من حياة سليمة الجوانب والأجزاء، في كلِّ الدِّيانات والمعتقدات والأفكار والأحوال المختلفة والأزمان، يتحقَّق في ظل تحقُّق الحكم الرَّاشد.

إنَّ تحقُّق الحكم الرَّاشد عملاً وتطبيقاً، وبكلِّ أصوله وأسُسه وأوصافه، يعني تحقُّق كل المثل العليا التي جاءت بها كل الدعوات، في القديم والحديث، وما لم يكن الأمر كذلك من نشر مبادئ الحكم الرشيد، وجعلها سلوكيَّات وقِيَمَا في حياة النَّاس فإنه يصيب المجتمعات العكس من ذلك، ومن أهم ذلك العدل بين أفراد المجتمع، الذي به استقامة أمر النَّاس،

---

36) التحرير والتنوير: 1747/1، بتصرف.

37) فضيلة العادلين من الولاة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ، تحقيق :مشهور حسن محمود سلمان، دار الوطن – الرياض، الطبعة :الأولى، 1418 هـ - 1997 م، 171/1.

قال المناوي: " قال الحكماء : الأدب أدبان أدب شريعة وأدب سياسة وهو ما عمر الأرض، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان والأمانة وعمارة البلدان" [38]، وفرض الحياة التي تجلب لكلِّ فرد فيه ما ينبغي أن يكون له، حتى يشعر بوجوده في وسط مجتمع متميِّز، قال صاحب التحرير والتنوير عند ذكر قول الله تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًا)[39] "انتقال من الأمر بالعدل في أحوال معينة من معاملات اليتامى والنساء إلى الأمر بالعدل الذي يعم الأحوال كلها وما يقارنه من الشهادة الصادقة فإن العدل في الحكم وأداء الشهادة بالحق هو قوام صلاح المجتمع الإسلامي والانحراف عن ذلك ولو قيد أنملة يجر إلى فساد متسلسل"[40].

المطلب الثاني: انفراد الحكم ورجاله بالرُّشد.

أ/ الحكم الرَّاشد النُّموذج الفريد:

فالحكم الرَّاشد هو الخلاصة لكلِّ ما يمكن أن يكون من تجربة يقوم بها النَّاس، في كلِّ زمان ومكان، وتحت أي مسمى، وبأيِّ وجه من الوجوه، لأنَّه في الواقع ليس خلاصة تجارب فحسب، ولم يضع أسسه وقواعده فلان أو فلان من الناس، وإنما هو خلاصة تعاليم ربانية قرآنية ونبوية، شملت كل معالم الحياة، ورسمت للحاضر والمستقبل، ولم تتغافل عن حقيقة الماضي، مارسها النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– قولاً وعملاً، حتى صارت واضحة بيِّنة، سهلة وجليَّة، بتسديد وتوفيق وإرشاد من الله تعالى له، ثمَّ تابعه من جاء من بعده، استئناساً وتأسياً، تعبُّداً واقتداءً، وأُمرنا نحن أن نقتفي أثره –عليه الصَّلاة والسَّلام–،

38) –فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط/1 ، 1356، تعليق: ماجد الحموي، 143/4.

39) سورة النساء:135.

40) التحرير والتنوير:1038/1.

ثمَّ من جاء بعده من الرَّاشدين، -رضي الله عنهم-، وأن نكون كما كانوا، قال -عليه الصلاة والسلام-: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار"[41].

ومن الاقتداء المطلوب، واقتفاء الأثر المرجو، أن يكون ذلك فيما يتعلق بأمور الأمة أجمع، ومن ذلك الحكم العام، وتسيير أمور العباد، ومراعاة الواقع الذي يعيشونه، ومواكبة كل المتغيرات والأحداث، والتجدد المتنوع في الحياة، والتطور الذي لا حد له، وهذا ما يتصف به الحكم الرشيد، الذي لا تناقض بينه وبين التعاليم الإسلامية، بل هي أساسه، ومنها يَسْتَقِي الخير، وبها يستنير، فالاسلام دين كامل شامل، مرن لا جمود فيه، سهل يسير في التَّنفيذ، عظيم في معانيه ومبادئه ومدلولاته، عليه تقوم كل معاني الخير، سماه الله تعالى قِيَمَاً، كما قال سبحانه: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين)[42].

ب/ قادة الخير والحكم الرَّاشد:

لقد تميَّز الحكم الرَّاشد بميزات عديدة، جليلة القدر، رفيعة القيمة، هي مجموع كل ما يمكن أن يكون من وصف مثالي في أي حكم كان على وجه الأرض، في كل زمان ومكان، وبذلك صار عزيزا، لعجز النَّاس والأمم عن الامتثال له وتقصيرهم في السعي إليه أخذا بالأسباب الموصلة إليه، بسبب تفريطهم في امتثال دينهم الذي هو أصل كل رشاد، والوقوع فيما تعوذ منه النبي – صلى الله عليه وسلم- بقوله: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل)[43]، عجزاً حرمهم الخير الكثير، لأنَّهم رضوا بالدُّون ففاتهم الذي هو خير، لذلك

41) الحاكم: 288/1.

42) الأنعام: 161.

43) الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، 1039/3.

كان من دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم–: " اللهم اني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد"[44] لعلمه أن الأمر يحتاج إلى إرادة ومبادرة فطلبها من الله تعالى الذي لا يستعان إلا به –سبحانه– دون سواه.

وقادة الخير أصحاب الرِّفعة في أمورهم، والطَّامحين في شؤونهم، ومن يحبُّون معالي الأمور، **لا يرضون بالدُّون**، وهم أهل لكلِّ عزيز، وقرناء كل طموح ونجاح، وأصحاب كل إبداع وسمو، وإن كانوا في الناس قلَّة، لكنَّهم نجوم في الأمم، وقاداتها إلى كل خير، وهم الرَّواحل التي فاقوا رفاقهم وقرنائهم، وبإقدامِهِم تميَّزوا، وتّبنِّي أمور أمتهم تنافسوا، وفيهم وأمثالهم قال نبيُّنا محمد –صلى الله عليه وسلم–: " النَّاس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة" [45]، أولئك بأمثالهم تنجح الأمم، وعلى أكتافهم يكون تقدمهم، وإليهم ترد عظائم الأمور، فهم مفاتيح كل خير ومغاليق كل شر، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: " أن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه "[46]، أي أن الله تعالى أجرى على أيديهم فتح أبواب الخير حتى كانه ملكهم مفاتيح الخير، ووضعها في أيديهم، ولذلك قال " جعل الله مفاتيح الخير على يديه "[47].

وإنَّ توفر أمثال أولئك العظماء في كلِّ جيل وزمان، ممَّن كان لهم الأثر في مجتمعاتهم وأجيالهم وأزمانهم، –وربَّما تركوا أثرا لتأريخ طويل من بعدهم–، يمثِّل ميزة من أعظم ما يتميَّز به الحكم الرَّاشد، ولولاهم بعد الله تعالى لما اكتحلت أعين الناس بمجتمعات يملؤها الخير، ويسود فيها الأمن والاستقرار، والعدل والمساواة، والحرية العامة، والراحة وهدوء البال.

---

44) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة، 123/4.

45) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، 1972/4.

46) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، 86/1.

47) ابن ماجة:86/1.

فكان لزاما على ذلك أن يقال بأن من أهم أساسيات تحقق الحكم الرَّاشد، توفر القادة الذين بهم أساس ذلك الحكم، وعلى أكتافهم يقوم، وبهم يستعين الناس في أمورهم بعد ربهم سبحانه، وفي أمثال هؤلاء قال الله تعالى حكاية عن الصالحين في دعائهم: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[48]، وقوله سبحانه: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)[49]، وحديث النَّبي –صلى الله عليه وسلم–: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها "[50].

المطلب الثَّالِث: مواصفات الحكم الرَّاشد.

وللحكم الرَّاشد ميزات ومواصفات ميَّزته عن غيره وارتقت به، وصار بها حكماً راشداً سامياً، ولولا تلك المواصفات لما كان راشداً ولا متميزاً عن غيره، فبدونها سيستوي مع غيره ولا فرق.

وحياة النَّاس تسير في كلِّ زمان ومكان، سيراً طبيعياً وعادياً، لا يميِّز الحكم في بعضها عن الآخر إلا في شيء من الشَّكليَّات، التي لا ترتقي إلى مستوى التَّميز والسُّمو بالأمَّة إلى درجة تظهر فيها أنَّها على خير بيِّن وواضح، بل كل حكم في كل أمة من الأمم يأخذ عن الآخر.

وترى سائرها لا يفضل عن غيره في الجملة، لاعتماد بعضها على الآخر، وركون بعضها على بعض، واكتمالها ببعضها، وبالأخص ما يكون في أزمنة متقاربة، أو مجتمعات مع بعضها متداخلة، وهذا ما نراه اليوم في كلِّ بلاد الدُّنيا، الإسلاميَّة وغير الإسلاميَّة، خصوصاً ما تركته العولمة من آثار سلبيَّة على الأمم والشُّعوب، أفراداً وجماعات، واضحة وبيِّنه.

---

48) الفرقان:74.

49) السجدة:24.

50) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، 512/2.

بينما الحكم الرَّاشد يمثل الطريقة المثلى التي تدار بها شؤون المجتمعات، بمختلف جوانبها الحياتية، لأنَّه تميز بصفاتٍ ليست في غيره، فصار أملاً منشوداً، وغائباً منتظراً، وهو ممكن الوقوع، إذا سعى السَّاعون نحوه، وبذلوا الجهود الموصلة، ومشوا في نفس الطَّريق التي مشى فيها من سبق، وحينئذ سيحقِّق الله الطَّلب، وييسر المأمول[51].

وعليه يمكن القول بإن الصِّفات التي يحملها الحكم الرَّاشد، وما يميزه عن غيره، يتمثَّل في الآتي:

الصِّفة الأُوْلَى: أن يتخذ شرع الله دستور حياة.

أن يستقي منهجه في إدارة الحياة من دين الله تعالى، وأن يكون قائماً على أصول من الدِّين ثابته، يستنير بنورها، ويسترشد بهديها، مع الاستفادة من سنن من سبق من الصَّالحين، والتي كانت عنواناً بارزاً في حياة الأمَّة المحمَّدية، كحياة الخلفاء الرَّاشدين، والسَّائرين على نهجهم من بعدهم، أخذاً بوصية النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم–: "عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديين من بعدي، عضو عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة"[52]، مع عدم إغفال كل حكمة وفائدة من الغير أياً كانت، ما دامت نافعة، ولم يكن بفعلها مخالفة، فالحكمة ضالة المؤمن، وهو أحوج لها من غيره، ومن الحكمة عدم إهمال كل نافع، وقد جاء في حديث النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم–: " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقُّ بها"[53].

الصِّفة الثَّانية: توفُّر الرِّجال الأكفَاء لإدارة الحُكم.

فلا يمكن لحكم أن يكون راشداً، إن لم يحكم فيه الرجل الرَّاشد الذي توافرت فيه صفات الرَّشاد والصلاح، وتحقَّقت فيه مواصفات ولي الأمر الكفء، الذي يفقه واجباته

51) تفسير القرطبي، 123/7، بتصرف.

52) أبوداود: 610/2.

53) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، 51/5.

ليقوم بها، ويعرف حقوقه فلا يتعدَّاها بطلب غيرها، كما ينبغي لمن له حق تعيينه أن يجعله في المكان اللائق به، دون تهوين ولا تضخيم لحال، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أنزلوا الناس منازلهم"[54]، "أي عاملوا كل أحد بما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف، والمراد بالحديث الحض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس وفي القيام وغير ذلك من الحقوق"[55]،

ثم أن يتميَّز بصفات الرجال العظماء الذين وهبهم الله القدرة على الإدارة المثالية، النَّاجحة، والتي تتَّصف بالطُّموح والتَّجديد والإبداع، وأن يكون مجتهداً في النُّصح للمحكومين بكلِّ ما يرى أنَّه الأصلح لهم، في عموم الأمر أو خصوصه، قدر استطاعته التي هي وسعه ومقدوره، دون تقصير في حقِّ أحد، ولا شكَّ أن وجوب توفر ما سبق من المواصفات في حق المسؤول الأول في الحكم تكون قبل غيره، ثم من يليه، وهكذا يكون في حال من هو أدنى منه مسؤولية، وعموم حديث النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– الوارد في بيان وجوب مسؤولية من تولَّى أمراً أياً كانت تلك المسؤولية يبين ذلك، قال –عليه الصَّلاة والسَّلام–: "كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته"[56] .

الصَّفة الثَّالثة: مراعاة العدالة العامَّة.

إحياء مبدأ العدل، فلا فرق بين قريب أو بعيد، أو صديق أو عدو، في اعتبار مبدأ العدل حكماً سارياً عليهم جميعاً، في كلِّ ما يجب فيه العدل، دون محاباة أو مجاملة، قال –رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم–: " إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشَّريف تركوه وإذا سرق فيهم الضَّعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمَّد

54) أبو داود: 677/2.

55) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، 131/13.

56) البخاري،430/1.

سرقت لقطعت يدها "[57]، وهذا أبلغ العدل وأنصعه وأبينه وأجلّه، فالحق أحقُّ أن يتبع، ومن العدل العام والشَّامل في الحياة، أن يوضع كل شيء في موضعه الصَّحيح، وأن يوضع في نصابه الذي هو له، فبذلك تستقيم الحياة، وتهدأ الضَّمائر، وتشعر بالسَّعادة كل النُّفوس السَّوية، ويلامس السُّرور كل امرء بأيِّ اعتبار كان[58].

فأخذ الحقوق لأصحبها ممَّن انتزعها منهم، وإعطاء العطاء لكلِّ من له حق في ذلك دون تمييز لا مبرر له، والحكم للحق بأحقيَّته، وللباطل ببطلانه، هو عين العدالة وجوهرها، وأصلها، قال الله تعالى: (وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً)[59].

الصَّفة الرَّابعة: المساواة الرَّاشدة.

ويُعنى بالمساواة الرَّاشدة أن تكون مساواة بمنظور وهدي الإسلام، من خلال مراعاة كل شخص وما حدَّد له الدِّين من الحقوق، وما أوجب عليه من واجبات، وقد ورد في خطبة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في وسط أيام التشريق فقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"[60].

فالمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع النَّاس الذين يشملهم ذلك الحكم وبما ورد في الشَّرع، أصل من حيث هو لا يجوز تعدِّيه ومخالفته، مع مراعاة الفرق في قدر تلك الحقوق والواجبات، وبيان كنهها وماهيَّتها وقدرها وكيفيَّتها، وكلُّ ذلك مبيَّن في كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– إجمالاً أو تفصيلاً، في العموم أو الخصوص.

---

57) البخاري، 1282/3.

58) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، مطبعة المدني – القاهرة، تحقيق : د. محمد جميل غازي، 345/1.

59) النساء:58.

60) أحمد بن حنبل: 411/5.

إضافة إلى ذلك إدراك صفة المساواة بين الناس، الحر والعبد، والرَّجل والمرأة، والمطيع والعاصي[61]، وحتى غير المسلمين، الذين يعيشون في ذلك المجتمع من حيث الأمور القانونيَّة التي يمكن أن يتساوى فيها النَّاس، وذلك بما أرشد إليه الإسلام دون إفراط أو تفريط.

ومع مراعاة عدم إهمال ما يتميَّز به البعض عن الآخر ممَّا خصَّ به الإسلام، كما للرَّجل عن المرأة، والكبير عن الصَّغير، والعالم عن الجاهل، وذي القدر عمَّن هو دونه، والمسلم عن الذِّمي، والحر عن العبد، وكلُّ ذلك بحسب ما ورد في شرع الله تعالى دون تقصير فيه بحال، وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: "أنزلوا الناس منازلهم"[62].

وكل ما سبق يستدعي وضع برنامج ومواد تنظِّم تلك العلاقات بين سائر الأفراد، بجميع أوصافهم، وبما يوفِّر الأمن والاستقرار للجميع، بكلِّ مصداقيَّة وتجرُّد في جميع ما يتعلَّق بهم كأفراد يعيشون ضمن ذلك المجتمع، لهم حقوق يأخذونها، وواجبات يقومون بها.

الصَّفة الخامسة: توفُّر عوامل الحفاظ على المجتمع.

وتتوفَّر عوامل الحفاظ على المجتمع في أمرين رئيسيَّين:

الأول: توفير الاحتياج الغذائي لسائر الأفراد، بشتى الطرق والوسائل المشروعة الممكنة والمناسبة، وبالكيفية التي يتحقق من خلالها توفر احتياجات الناس المختلفة، مع مراعاة الزمان والمكان والظروف الخاصة والعامة ومقدار ما يحتاج إليه الأفراد في ذلك المجتمع من عناية ورعاية مناسبة وكافية.

الثاني: توفير الأمن العام للمجتمع، من حيث وجود القوَّة الرَّادعة لمن يريد العبث من الدَّاخل وكذلك ردع العدو الخارجي، في حال إرادة التَّعدي على المجتمع، أو على أفراد منه، أو شيء من ممتلكاته.

---

61) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 1405، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، 292/5، بتصرف.

62) أبوداود:677/2.

والعَامِلان يحتاجا لتحققهما إلى برامج وخطط منظَّمة ومرتَّبة، وشاملة لكلِّ الجوانب الحياتيَّة في ذلك المجتمع، من حيث توفير كل الأسباب الموصلة إلى تحقق الأمن الغذائي، والأمن العام للمجتمع، وبما يتناسب مع الحياة العامَّة والخاصة، وقد دل على الأمرين السابقين قول الله تعالى : (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْف)[63].

الصِّفة السَّادسة: قُوَّةٌ فِي لِيْنٍ، ولِيْنٌ مِن غَيْرِ ضَعْفٍ:

أن يتَّصف الحكم المتمثِّل في رجالاته **بصفة الشِّدَّة الإيجابيَّة**، التي بها حفظ البلاد، وزجر الماكرين، ورد المعتدين، وإسكات المخذِّلين، وإلجام المرجفين، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "لتأخذنَّ على يد الظَّالم ولتأطرنه على الحقِّ أطرا أو لتقصرنَّه على الحقِّ قصراً، أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثمَّ يلعنكم كما لعنهم"[64]، وقال تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)[65]، **وصفة اللِّين الإيجابي**، الذي به جمع الكلمة، وتأليف القلوب، وترغيب البعيد، وإسعاد القريب، والرفق بالمحسن، والإمهال للمسيء، قال الله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[66].

الصِّفة السَّابعة: مؤسَّسيَّة الإدارة، وإعمال الشُّورى.

أن تكون هنالك مؤسَّسية في إدارة حكم المجتمع، فلا يطغى شيء على شيء، ولا يتطاول أحد على عمل غيره، يحترم كل فرد رأي الآخر، ويقدر فهمه وعلمه وتخصصه وخبرته، ابتداء بالمسؤل الأول إلى أدنى شخص في المجتمع، مع مراعاة أن لا تكون الإدارة خاضعة لرأي فردي، بل تكون هنالك شورى فيما يجب أن تقع فيه، وتكون ملزمة لولي

63) قريش:4.
64) أبو داود، 524/2.
65) مريم:12.
66) آل عمران: 159.

الأمر، لا يكتفي برأيه، أو يصر عليه، ولا بدَّ من الأخذ بالشُّورى فيما يجب أن تكون، ثمَّ برأي الأغلب ممَّن تؤخذ منهم المشورة، فالمرء ضعيف بنفسه قوي بإخوانه، والتشاور في أي أمر فيه الخير والبركة، لأنه رأي تضافر بغيره، أو بالأصح آراء تضافر بعضها ببعض، وذلك عين الصَّواب، لأنَّ تلاقح الأفكار أدعى لأن ينتج ويثمر الرَّأي السَّامي، والقول السَّديد، وقد قال الله تعالى: (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ)[67]، وقال سبحانه: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)[68]، وفي رأي الأخ إتمام لما نقص إصلاح وتصحيح لما وقع من قُصُور أو لَبْس، وقد ورد في الحديث: "المؤمن مرآة المؤمن"[69].

الصِّفة الثَّامنة: التَّجدُّد الدَّائم والارتقاء المستمر.

وذلك من خلال بذل كل الجهود المشجِّعة على الإبداع والتَّجديد والتَّحسين، في كلِّ شؤون الحياة، وتطوير كل ما يتعلَّق بأمور الحياة النَّافعة، ومحاولة التَّميُّز الإيجابي على المستوى الفردي والجماعي،

والحرص على كلِّ ما هو جديد ونافع، من الوسائل التي تخدم المجتمع، ولا تضر بدينه وأخلاقه،

ذلك أنَّ التَّجديد يجعل عجلة الحياة دائرة ومستمرَّة، وبتوقُّف الحالة التَّجديديَّة يتراجع المجتمع ولا يتوقَّف فقط، لأنَّ غيره من المجتمعات متجدِّده ومستمرَّة في عطاءاتها، وهذا متوقِّف وثابت، وفي سيره ركود، وقد يصبح أثراً بعد عين.

فالواجب لزاما على المجتمع الذي يتميز بالحكم الرَّاشد السَّعي إلى كل ما هو جديد، وكلُّ أمر يكون به الرُّقي.

67) الشورى، 38.
68) آل عمران، 159.
69) أبو داود:304/2.

الرُّقي الأخلاقي، والرُّقي الصِّناعي، والرُّقي التِّجاري، والرُّقي البيئي، والرُّقي التَّعليمي، والرُّقي التَّربوي، والرُّقي الثَّقافي، والرُّقي المجتمعي، وكلُّ رقيٍّ يبني المجتمع ويسمو به إلى العلياء، رقيَّاً يجد به كلُّ من في المجتمع الرِّفعة، والشُّعور بالاستقرار، والهدوء الشَّامل، وراحة البال.

والأخذ بعزائم الأمور أمر محمود عند الله والآخذ كذلك محبوب عنده[70]، كما قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم–: "إنَّ الله يحبُّ معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها"[71]، وقال –عليه الصَّلاة والسَّلام–: "المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"[72].

الصِّفة التَّاسعة: ربَّانيَّة المجتمع.

أن يكون مجتمعاً مرتبطاً بالآخرة، فمهما كان منهمكاً في أمور الدنيا فإنه لا بد له من ارتباطه بالآخرة، قال الله تعالى:(وَلَكِنْ **كُونُوا رَبَّانِيِّينَ** بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ)[73]، ويتحقق هذا الارتباط من خلال أمور عديدة تعين على ذلك، هي بحاجة إلى برامج ومشاريع علميَّة وعمليَّة، فبقيامها يتحقق المطلوب بعون الله تعالى.

ومن تلك المشاريع على سبيل المثال لا الحصر:

1/ السَّعيُ إلى إنشاء مختلف المؤسَّسات الدِّينيَّة التي تربط النَّاس بدينهم وخالقهم.

2/ تشجيع كل دعوات الخير التي تربط النَّاس بآخرتهم، من خلال إعداد برامج مشجعة لذلك.

3/ محاربة كل دواعي الرَّذيلة وصرف النَّاس عنها، من خلال إعداد البرامج التَّربوية والتَّوجيهيَّة والتَّثقيفيَّة.

---

70) فيض القدير:295/2.

71) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ، 1404 – 1983، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، 131/3.

72) مسلم، 2052/4.

73) آل عمران: 79.

4/ تحسين المناهج بما يخدم دين الله تعالى، سواء في المدارس أو الجامعات أو غيرها من المؤسَّسات التَّعليميَّة الخاصَّة والعامَّة.

5/ نشر العلم النَّافع بكلِّ وسيلة ممكنة ونافعة، ومن خلال برامج مزمَّنة ومتخصصة.

الصِّفة العاشرة: التَّواصل اللَّامحدود.

أن يكون المجتمع منفتحاً على غيره انفتاحاً واسعاً ومنضبطاً، بضوابط مناسبة ولائقة، لا يعود على المجتمع بالإفساد أو التَّبعيَّة والانقياد للآخر، بل يساعد على الاستفادة من الغير، استفادة إيجابية نافعة، وينقل الآثار الإيجابيَّة للآخرين، والتغذية الراجعة، على المستوى العام والخاص، وبما يتناسب مع الزمان والمكان والواقع، يراعي فيه الأحوال المتغيرة، مع الانضباط بالأصول والأسس الثَّابتة التي لا تقبل الزيغ، ولا دعوةً أصلها التَّبعيَّة، قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم–: "المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف"[74]، وقال –عليه الصلاة والسلام–: "الذي يخالط النَّاس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم"[75].

الصِّفة الحادية عشر: الذَّاتيَّة واللَّاتبعيَّة.

وذلك بالتَّحرر من كلِّ القيود التي تجعل الأمَّة رهن إشارة الغير، سواء كانت تلك القيود سياسيَّة أو اقتصاديَّة أو ماليَّة أو غيرها، وأن يسعى وليُّ أمر المسلمين لتوفير كل ما يجعل المجتمع المسلم في غناء عن مد يد الحاجة لأي أحد، وبالأخص الكافرين الذين يرجون من وراء ذلك مغانم كثيرة، ظاهرة وباطنة،

مع عدم إغفال ما يمكن التعاون فيه مع الغير دون تبعية سلبية أو مفرطة، سواء كان الاستعانة بمسلم أو غيره، مع مراعاة الحفاظ على مكانة المجتمع ومنهجة وقدره.

---

74) مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/2، 1407 – 1986، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.، 108/1.

75) أحمد،43/2.

ومما يستأنس به في الأمر ما ورد في سيرة النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنَّه استعان بابن اريقط في الهجرة إلى الحبشة، كما أنه تعاهد مع اليهود في المدينة، وعمل بينه وبينهم وثيقه اشتهرت بوثيقة المدينة، وحضر حلف الفضول في الجاهلة لنصرة المظلوم، وقال فيه –صلى الله عليه وسلم–: "لقد حضرت حلفا في الجاهلية لو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت" [76]، وكل ذلك دليل جواز التعامل والتعاون فيما يعود بالخير على المسلمين ولا يفسد عليهم، أوتعطى فيه الدَّنيَّة لغير المسلمين.

الصِّفة الثَّانية عشر: الاكتفاء الذَّاتي.

وهذه الصِّفة متمِّمة لما قبلها، ويراد بذلك أن يسعى ولي الأمر ومن يعينه إلى تحقيق كل ما يحتاج إليه المجتمع مما هو ممكن في نطاق جغرافيته، من الأمور الصناعية والتجارية والزراعية والتَّعليمية والطِّبِّيَّة وغير ذلك من الأمور التي يحتاج إليها النَّاس في جوانب حياتهم المختلفة، ولتوضع لذلك البرامج والخطط المناسبة والهادفة والنافعة، ويتم متابعة ذلك السير كي يصبح أمرا واقعا.

وفي تحقق ذلك فوائد لا حصر لها للمجتمع وأفراد المجتمع، ومن أهم ما يمكن ذكره منها، ما يأتي:

1/ استيعاب أفراد المجتمع بالأعمال في كلِّ جانب من جوانب الحياة المختلفة.
2/التَّخلُّص من التَّبعيَّة واستجداء الغير، والانتظار بمد يد العون من القريب أو البعيد، فاليد العليا خير من اليد السُّفلى.
3/ الدَّفع بعجلة الحياة إلى الأمام واكتساب التَّجارب و الخبرات.
4/ زيادة الدَّخل القومي وذلك بالاستفادة من كل المتاحات المشروعة.

76) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1414 – 1993، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، 216/10.

5/ التَّحول من مستورد إلى مصدِّر، ومن آخذٍ إلى معطٍ، وفي حديث النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: "واليد العليا خير من اليد السفلى"[77].

6/ التَّطوُّر والتَّجديد والابداع، فالحركة تورث نجاحا وتطويرا في الأعمال، وكما قيل في المثل الشَّائع: الحَرَكَة بَرَكَة.

7/ سدُّ حاجات المجتمع المختلفة، ولو على مراحل متتابعة.

8/ صناعة جيل قويّ عامل، لا ضعيف خامل، وفي حديث النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"[78].

9/ تحقيق الوصول إلى الشُّعور بالاستقرار الفردي والجماعي.

10/ ألَّا يكون المجتمع عالة على أحد، لوفرة ما يحتاج إليه، وفي الحديث عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: "ما عال من اقتصد"[79]، والعمل والكد من أجل الحياة الكريمة من خير ما يسعى إليه الإنسان.

وكل ما سبق من الأمور يحتاج تحققه إلى رسم خارطة طريق، ووضع برامج مناسبة، ثم السعي سعيا حثيثا إلى تنفيذها من خلال تصورات ورؤى واضحة وجلية، وعمل نظيف من كل العوائق السلبية.

الْمَبْحَثُ الثَّالِث:

فاعليَّة التَّكامل والتَّرابط في ظل الحكم الرَّاشد.

المطلب الأول: دور الإنسان مع غيره في بناء المجتمع.

في ظل الحكم الرَّاشد يصبح كل شيء جزءاً من الآخر، سواء الإنسان مع غيره من بني جنسه، أو الإنسان مع الحيوان، أو الإنسان مع الجماد، من حيث اكتمال صورة الحياة التي يصنعها الحكم الرَّاشد،

77) البخاري، 518/2.

78) مسلم،2052/4.

79) أحمد، 447/1.

حياة لا تناقض فيما بينها، ولا تعارض، ولا اختلاف في السَّير، فالإتجاه واحد، والغرض من كلِّ جزء في ذلك المجتمع مشترك، يتمثل في المساهمة بتوفير حياة متكاملة مترابطة، لتحقيق الحياة المستقرة المنشودة،

والترابط يكون متحقَّقا حين تكون المنفعة والفائدة المرجوَّة من كل جزء في البيئة التي يملأها قانون الحكم الرَّاشد متحققة، لكلِّ جزء بما يتناسب معه، سواء من حيث طبيعته، أو من حيث موضعه الذي هو فيه.

ويُشَكِّل كل ذلك التَّركيب والتَّكوين من الأجزاء، نوعاً من التَّكامل والتَّوافق، والتَّماسك الذي يتناسب مع بيئة الحكم الرَّشيد، وهذا الذي جعل الحياة مختلفة ومتميِّزة، بخلاف الحياة فيما سواه من الأحكام.

وإن للإنسان دور في إحداث العلاقة الإيجابيَّة بين عناصر المجتمع، فصناعة ذلك التَّكامل تتحققُ من حيث إنَّ الإنسان، استطاع بتوفيق الله، ثمَّ بفهمه السَّليم، وحسن تعامله مع مَن حوله من المكونات المجتمعيَّة والحياتيَّة، أن يجعل ذاته أداة ربط بين كلِّ مكوِّنات الكون، حين اختار لنفسه أن يكون عنصراً نشطاً فاعلاً، عنصراً إيجابيَّاً، عنصراً مشاركاً في نهضة ذلك المجتمع بحركته الدَّؤوبة، وفهمه الواسع للحياة، التي لم ولن تكتمل إلا بتضافر آثار كل ما هو موجود بذلك المجتمع.

فلابد إذا من مراعاة إيجابيَّة المجتمع، وجوداً وعدماً، فبإيجابيَّة المجتمع المتمثِّلة في إيجابيَّة أفراده كلّهم بلا استثناء، يظهر التَّكامل، وتظهر أهمِّيته، وبصورة دقيقة وبيِّنة، كما أنَّه بخلاف تلك الإيجابيَّة لن تقوم للحكم الرَّاشد قائمة، وسيؤول أمر ذلك المجتمع إلى الفراغ والبطالة، والتَّلكؤ في سير شؤونه، وتصبح الحياة متذبذبة، بين الاستقرار وعدمه، إن لم يصل حال ذلك المجتمع وتلك البيئة إلى الضَّعف، ثمَّ الفشل والاختفاء لمعالمه.

ومعلوم أنَّ من السُّنن الجارية في حياة الخلق، أنَّ التَّكامل والتَّعاضد والتَّوافق والتَّناصر والتَّرابط، من أسباب ديمومة أيّ أمر، وبراهين صلاحه، وقوة أساسة.

كما إنه متَّفق عليه كذلك بين سائر الخلق بأنَّ الاجتماع قوَّة، قال الله تعالى حكاية عن موسى وأخيه هارون عليهما السلام: (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ)[80]، وقال نبينا –عليه الصَّلاة والسَّلام–: "يد الله مع الجماعة"[81]، وفي حديث آخر: " المرء كثير بأخيه"[82]،

وأنَّ التَّنازع فشل، قال الله تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ)[83].

وقال المهلب بن أبي صفرة:[84]

تأبى العصيُّ إذا اجتمعن تكسَّراً وإذا افترقن تكسَّرت آحاداً[85]

المطلب الثَّاني: التَّسخير للإنسان في ظلِّ الحكم الرَّاشد.

ذكر فيما سبق أنَّ الإنسان هو صاحب الدَّور الفريد في الرَّبط بين مكوِّنات المجتمع، ولولا ذلك الدَّور لتعطَّلت كثير من الأدوار التي ينبغي أن تكون ملازمة لكلِّ المكونات، كون أيّ جزء في المجتمع يلازمه ما يميّزه، والإنسان نال تكريم الله تعالى له، فكان لزاماً أن يكون له ذلك الأثر، وأن يتميَّز بما يقوم به من دور، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[86].

---

80) القصص:35.

81) الترمذي،466/4.

82) مسند الشهاب: 141/1.

83)الأنفال:46.

84) المهلّب بن أبي صفرة الأزدي وكنيته أبو سعيد، هو من ولاة الأمويين على خراسان .عينه الحجاج عاملا على خراسان عام (78هـ – 697م) وقام بفتوح واسعة فيما وراء بلاد النهر، شذرات الذهب: 91/1.

85) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، المتوفى: 1089هـ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة :الأولى، 1406 هـ – 1986 تحقيق: محمود الأرناؤوط.

86) الإسراء:70.

وإنَّ من أعظم ما أكرم به الإنسان أنْ ميزه الله تعالى بالعقل الذي هو مناط التكليف، وقد ذكر ابن عباس –رضي الله عنهما– عند ذكر سورة الإسراء السَّابقة، أنَّ التَّفضيل بالعقل.

قال القرطبي –رحمه الله تعالى–: " والصَّحيح الذي يُعوّل عليه أنَّ التَّفضيل إنما كان بالعقل، الذي هو عمدة التَّكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعمه، وتصديق رسله، إلا أنَّه لما لم ينهض المراد بعثت الرُّسل وأنزلت الكتب"[87].

ويجب إدراك أن هنالك علاقة تربط تسخير ما في الكون للإنسان بالحكم الرَّاشد ، فكلُّ شيء خلقه الله تعالى مسخَّرا للإنسان، تكريماً من الله سبحانه وتعالى له، يستعمل ما حوله من المخلوقات المنتشرة في الكون بما يمكِّن له الله منه، قال ربنا –سبحانه وتعالى–: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[88] ، وذلك يعني أنَّ المرء بمقدوره أن يستغل كل ما يمكن ممَّا حوله، ويستفيد منه كلَّما أراد ذلك، وبحسب القدرة التي أعطاه الله تعالى، والحاجة التي يتطلَّبها الحال.

وإنَّما الذي يراد الكلام عليه هنا، أنَّ الإنسان لا يمكن له استغلال ما في السَّموات والأرض من تسخير إلا في ظلِّ الحكم الرَّاشد، ذلك أنَّ الحالة التي يعيشها الإنسان في ظلِّ ذلك الحكم الرَّاشد المتميِّز، تساعد على كلِّ ما يمكن فعله ممَّا هو مسخَّر من الله تعالى، كلٌّ بحسب ما هو له.

إضافة إلى أنَّ الاستقرار الذي وفَّره ذلك الحكم، ووضع الأمور في نصابها، والتَّعامل المثالي المتبادل بين الحاكم والمحكوم، وبين الفرد وأخيه في ذات لمجتمع، سواء التَّعامل الفردي أو الجماعي، يقوم بدورٍ كبير في التَّعامل بإيجابية متميِّزة بين كلِّ مكوِّنات المجتمع.

87) تفسير القرطبي، 245/10.

88) الجاثية:13.

وعلى هذا فإنَّه مادام تسخير الأمور للإنسان حقٌّ، وأمر نطق به القرآن، فإنَّ كل شخص كامل القوى، أهل للتَّكليف، قادر بإذن الله أن يستفيد من كلِّ ما في الكون، كيفما كان ذلك الشَّيء في شكله أو لونه أو مكانه أو وزنه أو حجمه، لأنَّ ذلك الأمر أورده القرآن، والقرآن كلام الله، وكلام الله حقٌ، والحقُّ أحقُّ أن يتَّبع، قال الله تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[89]، وقال عز من قائل: (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ، أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ، أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ، فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)[90]، ومما ورد في القرآن عن التسخير، قول الله تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[91].

فإذا كان التَّسخير على ما سبق من الكلام ممكنا، وهو كذلك بحول الله، فإنَّه لن يقدر المرء على الاستفادة من تسخير الله له ما في السَّموات والأرض كما ينبغي أن تكون الاستفادة من ذلك ما دام في ظلِّ ظروف غير مهيَّأة لذلك الخير، أو هو في ظل حكم لا يفقه أهله الغاية من حياة البشريَّة، ولا يعرفون سوى ظاهر الحياة الدُّنيا كما قال الله تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[92]، فَيُفُوْتهم بذلك خير كثير، وإن كان الأمر في ظاهره استعمال المتاع الدُّنيوي، فإنَّهم وإن كانوا كذلك، فهم في واقعٍ لا جوهر فيما لديهم فيه من أمر الدُّنيا أياً كان، إضافة إلى فوات أمر آخرتهم.

لأنَّ الذي لم يقرأ أو يفقه، أو يؤمن بوعد الله تعالى لعباده في كتابه، بتسخير كل ما في السَّماوات والأرض له، سيكون عائقاً عن استجلاب فضل الله المنَزَّل[93]، من خلال اعتقاده القاصر، أو ضعف إيمانه، وغفلته وتعاميه عمَّا بيد الله تعالى، فضلاً عن أن يكون

89) الإسراء: 88.
90) يونس:35.
91) الجاثية:13.
92) الروم:7.
93) تفسير القرطبي:291/1.

عاملاً على صرف النَّاس عن ذلك الخير بقوله أو فعله، جهلاً منه بفضل الله –تعالى– وقدرته، وعطائه الواسع وإحسانه، وأنَّه سبحانه الحكيم فيما يفعله، يعطي فضله من يريد كرماً منه، ويمنع من يريد لحكمة يريدها عدلاً منه، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[94]، وقال سبحانه: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[95]، وقال عز وجل: (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ،وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[96]، وقال عز من قائل: (ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[97].

فالاستفادة من تسخير الله تعالى ما في السَّماوات والأرض، تساعد على بناء مجتمع متكامل، متظافر، مترابط، لأنَّ كلَّ الكون مسخَّر وميسَّر للإنسان، وما عليه إلَّا استغلاله بصورة أمثل[98].

وإن أفضل ما يساعد على ذلك الاستغلال، أن يكون استغلالاً في ظل حكم راشد، يعين الرَّعية ويسهل لهم طريقة الاستفادة مما في الآفاق من مكنونات ما سخره الله تعالى لعباده.

وذلك الخير المتمثِّل في جلاء ووضوح حقيقة ما في الكون من خَلْق مسخَّر لبني الإنسان، له الأثر الكبير في استكمال صورة الحكم الرشيد، الذي يجمعه بما في الكون من أمور مُسَخَّرةٍ جامعُ الحق الإلهي، ونبل الغاية، ووضوح الهدف.

فحين يكون الكون بما فيه في نظام واحد، وكان للإنسان نصيب فيه، من حيث أنَّه مسخَّر له، يتصرَّف فيه بما ترغب به نفسه، إضافة إلى وجود حكم راشد يحتكم منتسبوه، إلى دين الله تعالى، بفهم سليم، وفقه صحيح، فإنَّ الأمر عند ذلك سيكون على أحسن حال، ويبلغ الأمر فيه غاية الكمال.

---

94) البقرة:261.

95) البقرة:247.

96) آل عمران: 73.

97) المائدة:54.

98) فتح القدير:343/4، بتصرف.

وهنا ينبغي إدراك أثر ترابط المكوِّنات (الانسان والحيوان والجماد) في ظلِّ الحكم الرَّاشد، ودون فصل لأيٍّ منها، في تلك الحياة الدَّائرة ضمن الكون، من حيث سياسة تعامل الإنسان مع الإنسان، وتعامله مع الحيوان، وتعامله مع الجماد، وبما يعود حسن التَّعامل المقصود على استقرار الحياة، كي تكون أكثر جمالاً، وتكاملاً بين أجزائها، وتذلُّلاً متبادلاً بين أفرادها، قال الزمخشري: "كل نفع قصد به الإحسان، والله تعالى خلق العالم كله نعمة؛ لأنه إما حيوان وإما غير حيوان، فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان، والحيوان نعمة من حيث أن إيجاد حي نعمة عليه، لأنه لولا إيجاد حي لما صح منه الانتفاع، وكل ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة"[99]، وكلُّ ذلك حتَّى تكون صالحة للحياة الطَّيِّبة التي أرادها الله لعبادة المستقيمين على أمره، ولن يفوت على من هو ضمن تلك الحياة الإفادة من الخير الذي وصلت إليه، ولو لم يكن حاملاً لأسباب الحياة الطَّيبة الموعودة، لجهله بتلك الأسباب، أو ضعف إيمانه بها، أو حتى كفره بما له صله بالإيمان.

تلك الكلمات هي خلاصة أثر التَّرابط بين مكوِّنات المجتمع، من حيث الاشتراك في الأثر، أخذاً وعطاءً، حِسَّاً ومعنىً.

ذلك أنَّ كلَّ المكونات، أو الجزئيات في أيِّ مجتمع، تشكِّل الصُّورة الواقعيَّة له، من حيث المظهر العام، وحقيقة ما هو عليه، سلباً أو إيجاباً.

المطلب الثالث: أثر الحكم الرَّاشد في تحقيق الإيجابية في الحياة:

إنَّ حقيقة الحياة المتوقَّعة للمجتمع الذي يلازمه الحكم الراشد، تتمثل في تحقق الترابط بين مكوِّناته، وتفاعلها مع بعض، بصورة مثالية.

فإذا تهيَّأ للمجتمع الحكمُ الراشد بما يحمله من الأوصاف التي تميُّزه عن غيره، وظهر ذلك في مكوناته الثَّلاثة التي أُشِيْرَ إليها (الإنسان والحيوان والجماد)، من خلال التزام

99) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، ت: 538هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/3، 1407 هـ، 975/1.

الأوصاف التي يحملها عملاً ومباشرةً لها، فإنَّ ذلك سينعكس على الحياة العامَّة، وسنرى أنَّ التكامل بين مكونات المجتمع، من حيث الأثر الذي تركته في المجتمع، صار فاعلاً في توفير الحياة العامَّة التي لا يمكن أن تكون إلا في ظل مجتمع مثالي، يحتكم بحكم رشيد يحمل ذات الصفات.

ترابط المكوِّنات والأثر الإيجابي:

إنَّ الأثر الحاصل بسبب التَّفاعل بين المكوِّنات الثَّلاثة السَّالفة الذِّكر، يصنع آثاراً يبقى مفعولها لأجيال قادمة، وتجد المجتمعات المجاورة والمتواصلة مع ذلك المجتمع النَّفع الكبير، والطُّموح في التَّأسي بذلك المجتمع الذي يتَّسم حكمه بالرَّاشد.

وإنَّ من الآثار السَّارية في المكوِّنات المنضمَّة إلى المجتمع، استفادة كلُّ من في ذلك المجتمع جميع معاني الحياة الكريمة، وإن كان انضماماً إلى المجتمع نسبيا، بأن يكون مكوِّن بيما يتناسب معه، والتي لن تكون أقلَّ من أن يعيش الإنسان فيها حرَّاً، آمناً، مستور الحال، مرتاح الضَّمير، وهادئ البال.

فضلا عن أن يكون في عداد الأثرياء، وأصحاب الأيادي العليا، يُزكِّي ولا ينتظر زكاة غيره، ويُؤتَى ولا يَأتِي غيره، لاكتفائه بكرم الله له، وهذا وعد الله لعباده بالحياة الطَّيِّبة، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[100].

وإن لم تكن الحياة الطَّيبة هي الأمور المادِّيَّة فحسب، وهو عين الصَّواب، لكنَّ ما يكون أحد أسباب الاستقرار النَّفسي، وراحة البال، فذلك يمثل جزءا من أعظم ملامح الحياة الطَّيِّبة.

100) النحل: 97.

وإنَّ أعظم ما يريح البال وتستقرُّ به النَّفس مطلقاً هو الإيمان بالله تعالى، والرِّضى بما عنده، والانقياد لأمره، وقد كان ابن تيمية رحمه الله يعيش ذلك الحال وهو في أصعب وأحلك الظروف التي يعيشها إنسان يقول: "أنَا جنَّتي وبستاني في صدري، أنَّى سرت فهي معي، إن حبسوني فحبسي خلوة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، وإن أخرجوني فخروجي سياحة في سبيل الله"[101]، فيصبح كل هم المؤمن أن تقر عينه بالإيمان والعمل، قال ابن القيم رحمه الله: "فصاحب الهمة العلية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان، والعمل الذى يقربه إلى الله ويدنيه من جواره، فأماني هذا إيمان ونور وحكمة، وأماني أولئك خدع وغرور"[102].

الْمَبْحَثُ الرَّابع:

أقرب طريق للوصول إلى الحكم الرَّاشد.

بما أن الحكم الراشد هو الحكم المثالي الذي يحمل صفاتا تميزه عن غيره، فإنه سيبقي الأمل المنشود، والهدف الذي يسعى إليه كل مؤمل في الحياة الكريمة، وإن الوصول إليه – باعتباره حكماً فريداً، ومتميِّزاً، ومن مهمَّات الحياة الإنسانيَّة التي بها تسيير أمور النَّاس–، يحتاج إلى أن فهم الكيفيَّة التي من خلالها يمكن الوصول إلى ذلك الحكم.

ولأنَّه حكمٌ فريدٌ، كما سبق وأن عرفنا ذلك من خلال مرورنا على أهمِّ مواصفاته، يبقى أن نتعرَّف على الطُّرق الموصلة إليه، باعتبار أنَّ ذلك ممكناً وهو كذلك، لأنَّه بأوصافه يعتبر موافقاً لما يرغب فيه الطَّبع السَّليم، وبه استقرار المجتمعات استقراراً شاملاً لكلِّ مناحي الحياة، ومن أجل ذلك سُمِّي راشداً، وقد سبقت الإشارة إلى حقيقة ذلك الوصف، وأهمِّيَّته، في التعريف.

---

101) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، 1417 – 1996، 469/2.

102) مدارج السالكين،457/1.

وفيما يخصُّ تحديد الطَّريق الموصلة إليه، يأتي الكلام المبيِّن للأمر في المطلبين الآتيين:

المطلب الأوَّل: أساس الحكم الرَّاشد، وأحسن الطُّرق الموصلة إليه.

إنَّ الذي جعل الحكم الرَّاشد أملاً منشوداً، والوصول إليه غاية سَامِيَة، وهدفاً نبيلاً، وأمنية جليلة القدر، وبه صلاح أمورٍ لا حصر لها، كونه منبثق عن تعاليم سمحة وعظيمة، أصلها دين الله الذي هو سرُّ صلاح أمر الدُّنيا والآخرة.

وللوصول إلى الحكم الرَّاشد لا بدَّ من العلم بأنَّ الإسلام الذي اختاره الله لعباده، ورضيه لهم ديناً، وختم به سائر الأديان، هو أساسه وأصله وقاعدته، وعلى ذلك يكون العمل والامتثال، قال الله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[103]، قال النووي نقلاً عن البغوي: "فأخبر سبحانه وتعالى أن الدين الذى رضيه ويقبله من عباده هو الاسلام ولا يكون الدين في محل القبول والرضا الا بانضمام التصديق إلى العمل"[104] ، ولم يكن ولن يكون بغيره، وبهذا يصبح الأخذ بتعاليمه هو أقصر طريق للوصول إلى حقيقة ذلك الحكم، وبه ينال الإنسان الحياة الطَّيِّبة، لأنَّه (الإسلام)، هو الذي رسم أسبابها، وحدَّد الطُّرق الموصلة إليها.

فالوصول ممكن، وبيسر وسهوله، إنْ أُخذ بالأسباب المطلوبة، وتوفَّرت الصِّفات المؤهِّلة، ويتأكَّد ذلك فيما يأتي:

أولاً: من خلال استقرار مفهوم أنَّ الإسلام أساس الحكم الرَّاشد، واليقين بأفضليَّة ذلك، بل والاعتقاد الجازم باقتصاره عليه، يَسْهُل حينئذٍ الوصول إلى ذلك الحكم المأمول، لأنَّ دين الله واضح وبيِّن، وموافق للطَّبيعة الإنسانيَّة، والنَّفس البشريَّة، ولا يحتاج النَّاس سوى تطبيقه، كما جاء غضَّاً طريَّاً، دون تحريف ولا تبديل.

---

103) المائدة:3.

104) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/2 .145/1.

ثانياً: إنَّ الحياة الصَّالحة الطَّيِّبة إنَّما تكون لأنَّ الإسلام امتزج بكلِّ جزئية فيها، لتوافقه معها، وعدم تعارضه مع جزء منها بأيِّ حالٍ من الأحوال، ولأنَّ الله اختاره ديناً للبشريَّة، وجعله الدِّين الخاتم، فيكون بذلك الأنسب في كلِّ الأحوال لإصلاح حياة البشريَّة، وتسييرها تسييراً صحيحاً سليماً ناجحاً[105]،

فالله من خلق وهيَّأ الأرض للحياة والعيش عليها، وهو -سبحانه- الذي اختار الدِّين لعباده، وطلب منهم أن يدينوا له بالوحدانيَّة، وأن يخضعوا له ويعبدوه، وجعل الإسلام الدِّين الخاتم، لعلمه بأنَّه دينٌ يصلح لكلِّ زمان ومكان، وأن يتعامل به النَّاس على الدَّوام، وفيه الخير لسائر البشريَّة، فلا يمكن أن يريد من عباده حكماً لحياتهم كما يرضى، وقد اختار ديناً قبل ذلك ورضيه لهم، ثمَّ لا يقع التَّوافق، فذلك ضرب من المحال، وحاشا أن يكون الأمر كذلك.

فكان على هذا لزاماً أنَّ نصير إلى القول السَّابق، ألا وهو الجزم بأنَّ الدِّين الإسلامي دين شامل لكلِّ جوانب الحياة، وبه صلاحها بكلِّ جزئياتها، بل لا يمكن أن تصلح بغيره، في كلِّ زمان ومكان، بل حتى مع غير المسلمين فيما هو عام لمن هو تحت ولاية المسلمين، بخلاف ما يخص المسلمين فلا يسري على غيرهم، قال ابن حزم: "لزوم شريعة الإسلام لكل كافر ومؤمن مستويا بقوله تعالى: (وأن حكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوآءهم)"[106]، وإنْ أَخَذَ بعضُ الخلق في أيِّ زمان ومكان بحكم لا يكون أصله وأساسه تعاليم الإسلام، ووجدوا من خلاله ما يريح بالهم، وتستقرُّ به حياتهم ولو نسبيَّاً، فلأنَّ تلك الأمَّة أو ذلك المجتمع أخذ بأسس ارتكز عليها ذلك الحكم وافقت ما جاءت به تعاليم الإسلام، وليس ذلك غريباً، فقد كان أهل الجاهليَّة الأولى يتميَّزون ببعض الأخلاقيَّات ما جعلهم لأجلها

105) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت ، 1398 – 1978، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي،267/1، بتصرف.

106) -الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث – القاهرة، ط/1، 1404هـ، 386/7.

يؤخذ عنهم ذلك، على اعتبار أنَّها من محاسن الأخلاق، وفيما يوافق ذلك قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم–: "إنَّما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[107].

ونخلص ممَّا سبق من الكلام، إلى أمر مهم، ألا وهو:

إنَّه لا صلاح ولا استقرار ورغد عيش، ولا حياة إنسانيَّة صحيحة كما ينبغي، إلا بأخذنا بتعاليم الإسلام، الذي اختاره الله لنا ديناً، لأنَّه يوافق فطرتنا، وبه سعادتنا، وفيه كل ما تحوجنا إليه صوارف الأزمان، ومتغيِّرات الأحوال، وتقلُّبات اللَّيل والنهار، ويكفي أنَّه اختيار الله لنا، ثمَّ رِضاه بأن يكون ديننا، وبسببه إن شاء الله سيرضى عنا، قال الله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[108]، فله الحمدُ والشُّكر دائماً وأبداً.

المطلب الثَّاني: الحياة الرَّضِيَّة في ظل الحكم الرَّاشد.

وإذا كان الإسلام هو الدِّين الخاتم، وبه صلاح الحياة بكلِّ جزئيَّاتها وكليَّاتها، وهو كذلك بلا شكّ، فإنَّه لابدَّ إذاً من أن يكون ديناً متوافقاً مع ما وصلت إليه البشريَّة اليوم، وما أحدثه التَّطوُّر والتَّجدُّد المختلف الجوانب.

ذلك أنَّ الحياة لا تصلح إلا بالدِّين الذي اختاره الله لصلاحها، وحتماً أنَّه يحمل توجيهاً لبلوغ الحياة الطَّيِّبة[109]، التي وعد الله بها عباده المؤمنين، توجيهاً مناسباً، عَلِمه من عَلِمه وجَهله من جهله، قال سبحانه وتعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)[110].

---

107) أحمد،381/2.

108) المائدة:3.

109) الفوائد، عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن منده أبو عمرو، دار الصحابة للتراث – طنطا، الطبعة الأولى ، 1412، تحقيق : مسعد عبد الحميد، 1،134.

110) النَّحل: 97.

والحياة حيال ذلك الارتباط بين الدِّين والواقع الحضاري والمتقدِّم والمتجدِّد، تصبح أكثر انسجاماً بين أفرادها بعضهم مع بعض، حياة تجمع بين أصالة الشَّرع، وجمال الحاضر، لا تحمل بين طياتها المتناقضات، ولا تتزعزع فيها المبادئ، ولا يعتريها الخلل الذي يكون في مجتمعات بعيدة عن الدِّين، ذلك أنَّ دين الله تعالى هو صمَّام الأمان، ودليل الرِّفعة، وسراج يهدي إلى كلِّ فلاح[111].

ومن لم يعلم عن ذلك، أو يتغابى عنه، فلينظر إلى كلِّ مجتمعات ما قبل الإسلام، التي عاشت الجاهلية بكلِّ صورها، قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا وَلاَ تَفَرَّقُوْا وَاذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوْبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا)[112]، أو فلينظر إلى مجتمعات اليوم التي تعيش جاهليَّات القرون والعصور الحديثة، كيف أنّه لا استقرار حقيقي بها بحال، (أي الاستقرار المعنوي وإن كان في الظَّاهر يُرى توفُّره)، لا استقرار اقتصادي، ولا سياسي، ولا اجتماعي، ولا حتَّى استقرار نفسي، لذا قال ربُّنا –عزَّ وجل–في بيان الحال الذي كان عليه النَّاس قبل ظهور دين الإسلام، كما في الآية السَّابقة: (وَكُنْتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا)[113] وقال الله تعالى في حال من أعرض عن هديه وذكره: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)[114].

والحالة النَّفسيَّة السَّلبيَّة أو الإيجابيَّة، تُعدُّ ثمرةً لكلِّ حالة كان بها استقرار أو لم يكن، ثمَّ إنَّه في واقع الأمر، لن يستقرَّ المجتمع بأفراده وجماعاته ما دامت الأسس مهترئة وغير ثابته، والأصول متزعزعة ومن المضمون فارغة[115]، قال الله تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى

111) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1395 – 1975، تحقيق : محمد حامد الفقي،23/1.

112) آل عمران:103.

113) آل عمران:103.

114) طه: 124.

115) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، 1416 – 1996، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا، 520/3.

مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[116]، وقال سبحانه وتعالى في الآية السَّابق ذكرها: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)[117]، بخلاف من كان على بصيرةٍ وهدىً من الله، ونور له من ربِّه وخالقه، فهو على خير دائم، وأمره كلُّه إلى خير، قال عز وجل: (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[118].

تَوْصِيَاتٌ وَمُقْتَرَحَاتٌ:

بالنَّظر إلى الكلام السَّابق، فيما تضمنته عناصر البحث، يمكن ذكر عدد من التَّوصيات والمقترحات التي هي عباره عن خلاصة لما يدور في البال، وما كتب عن الحكم الرَّاشد في هذا البحث، وتعتبر التَّوصيات والمقترحات الواردة هنا، همَّاً يشغل البال، كما أنَّها أملٌ ننتظره واقعاً، إن شاء الله تعالى، كي يكون لبنة تأسيس أو مشاركة لما سبق من الجهود، في سبيل الوصول إلى الحكم الرَّاشد الذي يُرجى أن يكون قريباً بإذن الله تعالى، وما يقام من الأعمال التَّوضيحية والإرشادية في الأمر بمختلف الأماكن في بلاد الإسلام كلِّها تُمثِّل نواة لجهود كبيرة وهادفة في المستقبل القريب بتوفيق من الله تعالى.

وفيما يأتي بعض التَّوصيات والمقترحات:

1) إنشاء مؤسَّسة علميَّة، وأخرى إعلاميَّة، تعملان على نشر ثقافة الحكم الرَّاشد، ودور ذلك الحكم في تحقيق الحياة الرَّاشدة، من خلال الرُّؤية الإسلاميَّة.

2) إيجاد قنوات فضائيَّة ووسائل متخصِّصة، تعمل على إظهار مجتمعٍ افتراضي، يتعامل بالحكم الرَّاشد، ويعيش الحياة الرَّاشدة، لتقريب التَّعرُّف على تلك الحالة الفريدة، وتشويق النَّاس لها من خلال ذلك العمل.

---

116) التَّوبة:109.

117) طه: 124.

118) الملك:22.

3) إقامة مؤتمرات وندوات علميَّة، حول الحكم الرَّاشد، وإيجابيَّاته، وأثر ذلك في صناعة الحياة الرَّاشدة.

4) إقامة مؤتمرات وندوات علميَّة وتثقيفيَّة، حول موانع وعوائق إقامة الحكم الرَّاشد، الدَّاخليَّة والخارجيَّة، ووضع الحلول والمعالجات المقترحة.

5) إعداد مناهج دراسيَّة، وتدريبيَّة، تهدف إلى تأهيل الأجيال والمجتمعات المسلمة، على فترات منتظمة، تحمل ثقافة الحكم الرَّاشد، والحياة الرَّاشدة.

6) إعداد دراسة تأريخية تقديريَّة، بخصوص فترات الحكم الرَّاشد خلال العهد الإسلامي، وكذلك العهد المعاصر، وإن كان تحقُّق الرُّشد بدرجة نسبيَّة.

7) تحليل حياة وسِيَر الشَّخصيات التي لها دور في تسيير الأمَّة نحو الحكم الرَّاشد، في الماضي والحاضر، من خلال أثرهم وبصماتهم التي تركوها، للاستفادة من تجارب تلك النَّماذج، ومعرفة ما تتميَّز به من الصِّفات المؤهِّلة، وتدريس ذلك للأجيال.

8) وضع دراسة تقييميَّة لكلِّ المجتمعات المسلمة اليوم، من خلال عرضها على مواصفات الحكم الرَّاشد، التي يمكن وضعها من خلال التَّداولات العلميَّة المختلفة، لبيان مدى قُرب ذلك المجتمع وبُعده بالنسبة لتوفُّر صفات الحكم الرَّاشد، وكذلك بيان إمكانيَّة وصول الحكم الرَّاشد إلى ذلك المجتمع، بالتَّحديد الزَّمني التَّقريبي.

9) وضع دراسة مقارنة بين ما تسعى إليه حكومات العالم اليوم، المسلمة وغيرها، من وضع مستوى معيَّن للحكم المتميِّز، بحسب ما تعتقده، مع ما يجب أن يكون عليه الحكم الرَّاشد، من خلال الرُّؤية الإسلاميَّة.

10) وضع دراسة علميَّة لبيان ميزات الحكم الرَّاشد، وأثره على الفرد والمجتمع والأمَّة، وبيان سلبيَّات تغيُّبه، أو تغييبه.

11) إعداد مادة قصصيَّة وتأريخية، لتثقيف وتوعية الأجيال، بحوادث واقعيَّة، لها ارتباط بفترات من الحكم الرَّاشد في الماضي والحاضر.

المَصَادِر والمَراجِع

القرآن الكريم.

-الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث – القاهرة، ط/1، 1404هـ.

-أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 1405، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي.

-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1395 – 1975، تحقيق : محمد حامد الفقي.

-بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، 1416 – 1996، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا.

-التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد-، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ، الدار التونسية للنشر – تونس 1984 .

-تفسير القرآن العظيم، المؤلف : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر بيروت، 1401هـ.

-الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

-الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر بيروت، 1405هـ.

-الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، دار الشعب القاهرة.

-سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

-سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

-سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، 1414 – 1994، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

-السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1 ، 1405، تحقيق : محمود إبراهيم زايد.

-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة :الأولى، 1406 هـ – 1986 تحقيق: محمود الأرناؤوط.

-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت ، 1398 – 1978، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.

-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1414 – 1993، تحقيق : شعيب الأرنؤوط.

-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

-الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، مطبعة المدني – القاهرة، تحقيق : د. محمد جميل غازي.

-عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ، 1415.

-غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، 1417 – 1996.

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى: 1250هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة :الأولى – 1414 هـ.

فضيلة العادلين من الولاة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ، تحقيق :مشهور حسن محمود سلمان، دار الوطن – الرياض، الطبعة :الأولى، 1418 هـ – 1997 م.

-الفوائد، عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن منده أبو عمرو، دار الصحابة للتراث – طنطا، الطبعة الأولى ، 1412، تحقيق : مسعد عبد الحميد.

-فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط/1 ، 1356، تعليق: ماجد الحموي.

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، ت: 538هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/3، 1407 هـ.

-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت.

-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت.

الطبعة طبعة جديدة ، 1415 – 1995، تحقيق : محمود خاطر.

-المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1411 – 1990، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.

-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، 1393 – 1973، تحقيق : محمد حامد الفقي، ط1.

-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، ت 710هـ ، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق زكريا عميرات.

-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

-مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/2 ، 1407 – 1986، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.

-المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط/2 ، 1404 – 1983، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/2 .

-نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إدارة الطباعة المنيرية، تعليق محمد منير الدمشقي.

- الموقع الشامل موسوعة البحوث على شبكة الانترنت
http://bohotti.blogspot.com.tr/2015/04/blog-post_556.html

بسم الله الرحمن الرحيم